قرينة التَّنغيم ودورها في الجملة الإنشائيّة الطلبيّة

دراسة في شعر أبي تمّام

محمّد سراج حبيب الحنش *

بإشراف: أ. د. إبراهيم البب **

مشرف مشارك: د. عبدالحميد وقّاف ***

◊ ملـخَّـص ◊

تسعى هذه الدّراسة إلى بيان وظيفة قرينة التّنغيم في الكشف عن المعنى؛ إذ تُعدُّ من الظّواهر الموسيقيّة الخالصة التي تنشأ تبعاً لحال المُخاطَب ومُقتضاه، ويكشف عنها ارتفاع الصّوت وانخفاضه في أثناء الكلام، وهي ظاهرة أكثر ما كشفت عنها اللّسانيّات الحديثة؛ لكنّنا هنا سنحاول إيضاح مفهومها عند علماء النّحو واللّغة في التّطبيق على بعض أشعار أبي تمّام.

جاءت الدّراسة في مقدّمة ومبحثين، كان الأوّل في المهاد النّظريّ؛ إذ حاول الكشف عن مفهوم القرينة والتّنغيم، فوجد تعدّد المعاني المعجميّة لمفهوم القرينة، وإن دلّت

* طالب دكتوراه– قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين–اللاذقية.

** أستاذ في قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين، اللاذقيَّة.

*** مدرّس في قسم اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين–اللاذقية.

فـي بعـض الأحيـان علـى معـانٍ متقاربـةٍ، فنجـدها دالّـة علـى معنـى الجمـع والمُلازمـة والمُصـاحبة. أمَّـا التَّنغيم فهـو إحدى القرائن اللّفظيّـة التـي تصـحب طريقـة الكـلام بارتفـاع الصّـوت أو انخفاضـه، وهـذه القرينـة اللّفظيـة تعبّـر عـن نوعيّـة الصّـوت ارتفاعـاً كـان أم انخفاضاً.

وكـان المبحـث الثّـانيّ فـي إيضـاح أنمـاط التّنغيم فـي شـعر أبـي تمّـام مـن تنغيم الاستفهام الّذي نجده يبدأ بنغمـة صـاعدة ثمّ ينخفض ليبلـغ مستوى منخفضـاً ثم يعود إلـى الارتفـاع؛ أي أنَّـه مُتذبـذب، وتنغيم النّـداء إذ يبـدأ منخفضـاً ثـم يرتفـع تـدريجيّاً ليعـود إلـى الانخفاض مُجدّداً، وتنغيم النّهي الذي يدلُّ علـى خاصيّة ارتفاع الإيقاع الصّوتيّ فـي بداية الجُملة، أمَّا تنغيم الأمر والتعجُّب فنجدهما يخرُجان فيه عن معنييهما اللّذين وُضعا لـه إلـى معنى أخر يقتضيه السّياق.

الكلمـات المفتاحيّـة: قرينـة ، التّنغـيم ، نغمـة، الصّـوت، الإنشـاء، الارتفـاع، الانخفاض، أبو تمّام.

The context of toning and its role in the order construction sentence
A study in the poetry of Abu Tammam

Muhammad Siraj Habib Al-Hanash*
Under the supervision of: Prof. Dr.. Ibrahim Al-Bab**
Associate Supervisor: Dr. Abdul Hamid Waqaf***

Abstract:

This study seeks to clarify the function of the context of intonation in revealing the meaning. As the context of intonation is considered one of the pure musical phenomena that arise according to the state of the addressee and its requirements, and is revealed by the high and low voice during speech, and it is a phenomenon most revealed by modern linguistics. However, here we will try to clarify its concept among grammar and linguists in application to some of Abu Tammam's poems.

The study came in an introduction and two papers, the first in the theoretical framework; As he tried to uncover the concept of qurain and intonation, he found the multiplicity of the lexical meanings of the concept of quraina, and if sometimes it indicated close meanings, then we find it an indication of the meaning of plural, concurrent and accompanying. As for intonation, it is one of the verbal clues that accompany the manner of speaking through the high or low volume of the voice, and this verbal context expresses

* PhD Student - Department of Arabic Language - College of Arts - Tishreen University - Lattakia.
** Professor in the Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Tishreen University, Lattakia.
*** Lecturer in the Department of Arabic Language - College of Arts - Tishreen University - Lattakia.

the quality of the voice, whether it is higher or lower.

The second topic was to clarify the toning patterns in Abu Tammam's poetry through toning the interrogation, which we find begins with a rising tone, then decreases to a low level and then returns to rise. That is, it is oscillating, and the call is toned as it starts low and then rises gradually to return to decline again, and the forbidding accentuation which indicates the characteristic of the high rhythm at the beginning of the sentence.

Key words: context, intonation, tone, voice, composition, rise, decline, abu tammam.

مقدّمة:

انشغلت الدّراسات النّحويّة القديمة بنظرية العامل ودورها في الجملة، واقتفاها الكثير من الباحثين اللّغويّين بين مؤيّدٍ ومعارض، ومنهم من أتى بجديدٍ أمثال (تمّام حسّان) الذي اصطلح على نظريّة العامل اسماً آخر، وهو تضافُر القرائن النّحويّة، وقسّمها قسمين: الأوّل في القرائن اللّفظيّة، والثّاني في القرائن المعنويّة، ليلقى هذا التّصنيف إقبالاً واسعاً عند دارسي اللّغة العربيّة في العصر الحديث.

وكان العربيّ منذ قديم الزّمان ميّالاً إلى التّنغيم والأداء الصّوتيّ، فاعتنى بتوزيع الكلمات في الجمل بحسب حاله، وحاول كثير من الباحثين توضيح الجوانب الإيقاعيّة التي كانت من أبرز الدّلائل على المعنى، ويُعدُّ التّنغيم بمنزلة تغيير في الأداء الكلاميّ بارتفاع الصّوت أو انخفاضه في أثناء الكلام العاديّ للدلالة على المعاني المتنوّعة في الجملة الواحدة[1]؛ بمعنى أنَّ التّنغيم هو العنصر اللّفظيّ "الصّوتيّ" المُساعد على التّعبير عن المشاعر بهبوط الصّوت أو ارتقائه.

أهميّة البحث وأهدافه:

لم تحظَ قرينة التّنغيم بما حظيت به القرائن الأخرى من الدّراسة وإن كان لها أثرٌ جليٌّ في الكشف عن المعنى، وخاصّة عند علماء العربيّة قديماً؛ إذ كان جلّ اهتماماتهم مُنصرفاً نحو تقعيد النّحو وبيان مناهجه الفكريّة، ولمَّا كان التّنغيم يحملُ دلالة القرينة النّحويّة، فقد نتوصّل به إلى أمن اللّبس أو ترجيح رأي على آخر.

وسيحاول البحث الكشف عن الصيغة التّنغيميّة لكلّ جملة كشفاً يجلو المعنى النّحويّ؛ لأنَّ الكلام قد لا يأتي على مستوى واحدٍ من التّنغيم، فله معنى يتكشّف بخروجه عن مجراه الأصليّ، وهو ما سيحاول البحث بيانه.

(1) – حسّان، تمّام، 2006م، **مقالات في اللّغة والأدب**، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ج1، ص333.

الدّراسات السّابقة:

لم نجد في بحثنا عن أبي تمّام دراسة كشفت عن خاصيّة التّنغيم لديه، إنّما كان جلّ الدّراسات في بيان الأثر الإيقاعيّ الذي يُحدثه علم البديع خاصّة، ومن الدّراسات التي نهض بها البحث:

1- بنية الإيقاع في شعر أبي تمّام: زكريا توفيق إسماعيل، رسالة دكتوراه، جامعة الزّقازيق، 2008م: وكانت دراسة موسيقيّة بحته، بحثت في الوزن وأنواعه، وفي بيان الأبحر المستخدمة في شعر أبي تمّام، والقافية، والحروف المجهورة والمهموسة، وهي أقرب ما تكون إلى عمليّة إحصائيّة.

2- ظاهرة التّنغيم في اللّغة العربيّة: آلاء حسين داود الشّرع ودريد عبد الجليل الشّاروط، مجلة القادسيّة، المجلّد 3، العدد 1، 2004م: وهي دراسة تناولت مفهوم التّنغيم في اللّغة والاصطلاح، وآراء الباحثين العرب والغربيين فيها، ودرست التّنغيم صوتيّاً ونحويّاً، وبلاغياً، وتوصّلت إلى أنَّ الجملة العربيّة تقع في صيغ وموازين تنغيميّة، وكلّ جملة من هذه الصّيغ لها نغماتٌ معيّنة من حيث الصّعود والهبوط.

منهج البحث:

حاول البحث اتّباع **المنهج الوصفيّ** في رصدهِ ظاهرة التّنغيم ووصفها، وبيان المعنى الذي يصحب موقف الشّاعر، وذلك بالوقوف عند بعض أشعار أبي تمّام، واقتضت خطّة البحث أن تكون في مقدّمة شملت أهميَّة الموضوع وأهدافه، وسبب اختياره، والدّراسات السّابقة، ومن ثمّ قُسِّم البحث إلى مبحثَين؛ كان الأوّل في جانبٍ نظريٍّ من خلال الكشف عن مفهومي القرينة والتّنغيم في بعض معاجم اللّغة والاصطلاح، وكان الثّاني في جانبٍ تطبيقيّ شمل الوقوف عند بعض دلالات التّنغيم الواردة في أشعار أبي تمّام متمثّلةً في الجملة الإنشائيّة (كالاستفهام والنّداء، والنّهي)، والجملة الخبريّة.

المبحث الأوّل: التّمهيد النّظري:

1- مفهوم القرينة

القرينة لغة:

تباين الأصل الاشتقاقيّ لمادّة (قرن) فكانت من القَرْن وقَرَنْتُ الشّيء أقرنه قرناً؛ أي شددتهُ إلى شيءٍ، والقرنُ: الحبلُ يقرنُ به، وهو القِران أيضاً[1]، فالقرينة يُقصد به الجمع وشدُّ الشَّيء إلى الشَّيء، وأورد ذلك (الخليل 176هـ) في قوله: ((**قَرَنْتُ الشَّيءِ أقرِنُه قَرْنَاً؛ أي شَدَدْتُه إلى شيء**))[2]، وهذا الأمر نجده أيضاً عند (أبي بكر الرَّازي 311هـ) في تعريفه للقرينة، يقول: ((**قَرَنَ الشّيءَ بالشّيءِ وصلَهُ بِهِ... واقترنَ الشَّيءُ بغيره، وقارنتَهُ قراناً صاحبتُهُ، وقرن بين الحجّ والعمرة يقرُنُ بالضمّ والكسر (قراناً)؛ أي جمعَ بينهما.... وقرينةُ الرَّجل امرأتُهُ...**))[3].

وأضاف (ابن فارس 395هـ) معنى آخر لها هو الملازمة، يقول: ((**القاف والرَّاء والنّون أصلان صحيحان أحدهما يدلّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، والآخر ينتأ بقوّة وشدَّة، والقرينة نفس الإنسان كأنَّهما تقارنا**))[4]، فـ(ابن فارس) لم يبتعد كثيراً عن سابقَيه في بيانهما معنى "قرن"، فالنفس – كما نعلم- تلازم الإنسان وتصحبه ما دام حيّاً.

وقد تكون بمعنى المصاحبة والاقتران، فالقرينُ: صاحبُك الذي يقارنك. وامرأة الرجل: قرينته[5]، فهي هنا جاءت بمعنى المصاحبة، و((**القَرينةُ فَعِيلة بمعنى مفعولة من**

(1) يُنظر: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، د.ت، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، ود. إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، مادّة (قرن).

(2) – المصدر السّابق، مادّة (قرن).

(3) – الرّازيّ، محمّد بن أبي بكر، 1994م، **مختار الصّحاح**، دار الكتاب الحديث، ط1.

(4) – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 1979، **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق وضبط: عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، مادّة (قرن).

(5) – يُنظر: البغداديّ، عبد القادر بن عمر، 1375هـ، **خزانة الأدب ولب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ط، ج11، ص89.

الاقتِران وقد اقْتَرَنَ الشّيئان، وتَقارَنا، وجاؤُوا قُرانى؛ أَي مُقْتَرِنِين.. وقارَنَ الشيءُ الشيءَ مُقارَنة وقِراناً اقْتَرَن به وصاحَبَه، واقْتَرَن الشيءُ بغيره، وقارَنْتُه قِراناً صاحَبْته، ومنه قِرانُ الكوكب، وقَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ وصلته، والقَرِينُ المُصاحِبُ))[1].

وقد تأتي بمعنى الملازمة والمصاحبة، نجد ذلك في قول (ابن هشام 761هـ): **((وجمعها قرائن على وزن فعائل، ويَطَّرِدُ في كلّ رباعيّ مؤنَّث ثالثه مدَّة سواءٌ كان تأنيثه بالتّاء كسحابة وصحيفة وحلوبة أو بالمعنى كشمال وعجوز وسعيد علم امرأة))**[2].

وإن كثرت المعاني المُعجميّة التي وردت بها لفظة "قرينة" فإنّنا نجد في أصلها اللّغويّ أنَّها كانت معاني مترادفة دارت حول الجمع والمصاحبة والملازمة.

القرينة اصطلاحاً:

الكلام في اللّغة العربيّة يتوزّع على نمطين أو ضربين: نمطٌ يحتاج إلى قرينة؛ من خلال الموافقة بين الدّلالتين: الظّاهرة والباطنة من غير أيّ احتمال آخر للمعنى، ونمطٌ آخر لا ينكشف عنه الغموض، ولا تتأتَّى دلالته إلا من خلال قرينة توضّحه وتبيّن مقصديّته.[3]

والقرينة اللّفظ الدّالّ على معنى مقصودٍ دون غيره، ولولاه لم يتكشّف المعنى ولم يظهر، وأدرك علماء اللّغة العربيّة هذه الظاهرة مثل إدراكهم قواعد النّحو والصّرف والبلاغة، لكنَّ الأوائل منهم لم يتطرَّقوا إلى اللفظة باسمها الصَّريح، ولمُ فصّلوا القول فيها،

(1) – ابن منظور، جمال بن مكرم: لسان العرب، تحقيق: محمّد أحمد حسب الله، وهاشم الشّاذلي، وعبد الله علي الكبير، دار المعارف، مصر، د.ت، مادَّة (قرن).

(3)– ابن هشام، عبد الله جمال الدّين بن يوسف، د.ت، **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك** ، ومعه عدّة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك : محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر ، بيروت ، د،ط، ج4، ص321.

(3) – يُنظر: السّامرائي، فاضل صالح، 2000م، **الجملة والعربية والمعنى**، دار ابن حزم، ط1، ص59.

والقرينة هي الدَّليل عند النّحاة الأوائل، نلحظ ذلك في قول (سيبويه 180هـ): ((**ويتعدَّى – يقصد الفعل– إلى الزَّمان، نحو قولك ذَهَبَ؛ لأنَّه بُنيَ لما مضى منه، وما لم يمضِ، فإذا قال ذَهَبَ فهو دليل على أنَّ الحدث فيما مضَى من الزّمان، وإذا قال سَيَذْهَبُ؛ فإنَّه دليلٌ على أنَّه يكون فيما يُستقبَل من الزّمان، ففيه بيانُ ما مضَى، وما لم يمضِ منه كما أنَّ فيه استدلالاً على وقوع الحدث**))[1]، فكلٌّ من الصّيغة والحرف في قوله السَّابق قرينةٌ على زمن وقوع الفعل "الحدث"، وصيغة "فَعَلَ" قرينة يستدلُّ بها على الزَّمن الماضي من الفعل "ذَهَبَ"، وحرفُ السّين في قوله "سيذهب" قرينة يُستدلُّ بها على الزَّمن الدّالّ على الاستقبال.

وعرَّف (تمّام حسّان) القرينة اللفظيَّة بأنَّها ((**عنصر من عناصر الكلام يستدلُّ به على الوظائف النَّحويَّة، فيمكن الاسترشاد بها أن نقول هذا اللّفظ فاعل، وذلك مفعول به أو غير ذلك. ومثل هذه القرائن كمثل معالم الطّريق التي يهتدي بها المرء إلى المكان الذي يقصده**))[2] ، وبيّن (تمّام حسّان) أنواع القرائن اللّفظيّة بـ: العلامة الإعرابيّة والأداة، والنّغمة، والصّيغة، والمطابقة، والتّضام، والرّتبة، والرّبط[3]، وأطلق على القرائن الثّلاث الأخيرات بالقرائن العلائقيّة[4]؛ أي قرائن تتعلّق بالتّركيب وليس باللَّفظ المفرد وحسب، و((**القرينة في اللّغة فعيلة بمعنى الفاعلة مأخوذ من المقارنة، وفي الاصطلاح أمرٌ يُشيرُ إلى مطلوبٍ**))[5]، فنجدها تدلُّ على معنى الإشارة في هذا التّعريف.

(1) – سيبويه، أبو عثمان عمرو بن عثمان بن قنبر، 1988، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، ص35.

(2) – حسّان، تمّام، 1419هـ/1993م، **البيان في روائع القرآن دراسة لغويَّة وأسلوبيَّة للنصّ القرآنيّ** ، عالم الكتب، القاهرة، ط1، ص8.

(3) – يُنظر: حسّان، تمّام، 1994م، **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، دار الثّقافة، المغرب، د.ط، ص205.

(4) – يُنظر: قدور، أحمد محمّد، 2008م، **مبادئ اللّسانيات**، دار الفكر، دمشق، ط3، 231.

(5) – الجرجانيّ، علي بن محمّد السّيد، د.ت **معجم التّعريفات**، تحقيق ودراسة: محمّد صديق المنشاويّ، دار

وتأتي القرينة بمعنى أخر عند المحدثين مماثل لما جاء له القدماء، وهو الدّلالة فـ((**هي الدّلالة اللّفظيّة أو المعنويّة التي تمحض المدلول وتصرفه إلى المراد منه مع منع غيره من الدّخول فيه. ومثال هذه القرينة: حذف الحال في قوله تعالى: { وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ}**[1]**، حيث حذف الحال المقدّرة بقائلين: سلامٌ عليكم. والقرينة كون الحال قولاً أغنى عنه المقول. والقرينة قد تكون لفظيّة كتعيين أل والصّلة لما تدخلان عليه من الأسماء فيجعلانها معرفة، أو معنويَّة**[2] **كما في دلالة الحضور والغيبة على تعريف مسمّياتها**))[3].

وبناءً على ما سبق فالقرينة بمعانيها المترادفة تدلُّ على معنىً مشتركٍ هو المُصاحبة التي خرجت للإشارة أو الدّلالة على مقصود.

2- معنى التّنغيم:

المعنى اللّغويّ للتنغيم:

التّنغيم قرينة لفظيّة، وهو قرينة صوتيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللّغة المنطوقة، وهو مصدر الفعل "نغّم"، وممّا جاء في لسان العرب ((**النَّغْمةُ: جَرْسُ الكَلِمَةِ وحُسْن الصَّوْتِ فِي القِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا...، والنَّغَم: الكَلَامُ الْخَفِيُّ. والنَّغْمَةُ: الْكَلَامُ الْحَسَنُ، وَقِيلَ: هُوَ الكَلَامُ الْخَفِيُّ...، وَسَكَتَ فُلَانٌ فَمَا نَغَمَ بِحَرْفٍ وَمَا تَنَغَّمَ مِثْلُهُ**))[4]، فالقرينة تتعلّق بحسن الأداء

الفضيلة، القاهرة، د.ط، ص181.

(1) – **سورة الرّعد**، الآية 23.

(2) – يُنظر: الأشمونيّ، علي بن محمّد بن عيسى، 1375هـ، **شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك** المسمّى "منهج السّالك، إلى ألفيّة ابن مالك، حقّقه: محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، ج1، ص127.

(3) – اللّبدي، محمّد سمير نجيب، 1985، **معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة**، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، ص186.

(4)– **لسان العرب**، مادّة (نغم).

الصّوتيّ.

ويرتبط التّنغيم أيضاً بالتّلوين الصّوتيّ، فهو جرس الكلام[1]، ويُعدُّ ألواناً موسيقيّة تكسو الكلام عند إلقائه، وتظهر هذه القرينة في صورة ارتفاع للصوت أو انخفاضٍ له أو تنويع بين الارتفاع والانخفاض.

إذاً فالتّنغيم في اللغة بما قدّمته المعجم يأخذ مجموعةً من المعاني، منها ما يتعلَّق بحسن الأداء أو التّلوين الصّوتيّ أو الحسّ الطّبيعيّ للصّوت، وقد يذهب إلى معنى ما خفي من الأصوات ولم يبن، كما أنه قد يشير إلى معنى أكثر عموماً، وهو النّطق بصفة عامّة.

المعنى الاصطلاحي للتنغيم:

أشار القدماء إلى هذه الظّاهرة الصّوتيّة من دون أن يستعملوا لها هذا الاصطلاح لفظة "التّنغيم"، فـ(سيبويه 180هـ) تنبّه إلى أهميّة التّنغيم في توجيه الوحدات اللّغويّة في السّياق الأسلوبيّ بين الأبواب النّحوية؛ إذ يؤكّد أنّه قد يستعمل للتفريق بين المعاني المُختلفة للجملة الواحدة، وأوضح ذلك من خلال تبيُّن أثر هذه القرينة اللّفظيّة في تحليل العلاقات الشّكلية بين الوحدات اللّغويّة في السّياق من جهة، وبيَّن وظيفته النّحوية في تغيير دلالات التّراكيب، ويتمّ ذلك بالانتقال من باب نحويّ إلى آخر يؤدّي إلى ارتفاع درجة التّنغيم أو انخفاضها في أثناء نطق الجملة. ومن جهة أخرى فقد بيّن أنّ الكلام ينتقل بواسطة التَّنغيم من أسلوب إلى آخر كالانتقال من النّداء إلى الاستفهام إلى التّعجب.

وأوضح أنّ من صوره الرّبط بين قرينة التّنغيم والقرائن الصّرفية كالعدد والجنس والنّوع، فاستغنى بها عن التّنغيم، ((**يقول الرّجلُ: أتاني رجلٌ، يريد واحداً في العدد لا اثنين، فيُقال: ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك من ذلك، أو يقول أتاني رجلٌ لا امرأةٌ فيقال: ما**

(1) – يُنظر: **معجم الصحاح**، مادّة (نغم).

أتاك رجلٌ؛ أي امرأةٌ أتتْك. ويقول: أتاني اليومَ رجلٌ؛ أي في قوّته ونفاذه، فتقُول: ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك الضُّعفاء))[1]، فيوضّح (سيبويه) أنّ الجملة قد تحتمل الدّلالة على **العدد** إذا كان النّطق بنغمةٍ مستويةٍ في الجملة، و**الجنس** إذا بدأت النَّغمة الصّعود من لفظة "أتاك"؛ لتنخفض في لفظة "رجل"، أمَّا **النّوع** فيكون عندما تبدأ النغمة صاعدة في لفظة "أتاك"، وتنخفض في لفظة "رجل"

ومن المصطلحات التي استعملها (سيبويه) في سياق حديثه عن بعض القضايا النّحويّة التي تندرج في سياق التّنغيم، مصطلح **(التّرنُّم أو مدّ الصّوت أو التّطريب)**؛ إذ قال في كتابه: **((اعلم أنَّ المندوب مدعو، ولكنّه متفجَّع عليه، فإن شئت ألحقتَ في آخر الاسم الألف، لأن النّدبة كأنّهم يترنّمون فيها؛ وإن شئت لم تُلحق كما لم تلحق في النداء. واعلم أنَّ المندوب لابدّ له من أن يكون قبل اسمه "يا" أو "وا"، كما لزم "يا" المستغاثَ به والمتعجَّبَ منه.))**[2]، فالمنهج النّحوي عند سيبويه يعتمد أساساً على تحليل الجملة إلى وحدات خاصّة يتألّف منها نظام الجملة، والقرائن اللّفظيّة أو المعنويّة عنده أشبه بأن تكون نظاماً متحكّماً في العلاقات بين أجزاء التّراكيب النّحويّة.

ولعلّ من أبرز مَن أشار إلى قرينة التَّنغيم لكن بغير لفظها ابن جنّي (392هـ) في باب "**التّطوّع بما لا يلزم**"؛ إذ قال": **((وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سِير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل**[3]**. وكأنَّ هذا إنّما حذفت فيه الصّفة لِما دلّ من الحال على موضعها. وذلك أنّك تحس في كلام القائل لذلك من التّطويح**[4] **والتّطريح**[5]**،**

(1) – **الكتاب**، ج1، ص55.

(2) – المصدر السّابق، ج2، ص220.

(3) – يُنظر: **الكتاب** ، ج1، ص115.

(4) – التّطويح: تذبذب الصّوت علوّاً واعتدالاً. يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة (طوح).

(5) – التّطريح: رفع الصّوت وعلوّه أو طوله وارتفاعه. يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة (طرح).

والتّفخيم[1]**، والتّعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ أو نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجلًا! فتزيد في قوّة اللّفظ بـ"الله" هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصّوت بها وعليها، أي: رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريماً أو نحو ذلك...))**[2]، فقد أظهر (ابن جنّي) دور العناصر الصّوتيّة في إظهار المعنى، ووصف تنغيم الجملة بقوله "سير عليه ليل"، فالتّنغيم الحاصل في الأداء اللفظيّ هو ما يدلّ على أنَّ المقصود ليلٌ طويلٌ.

وما ذكره (ابن جنّي) من تطويح الكلام أو التّطريح أو التّفخيم أو التّمطيط ما هي إلا وسائل تنغيميّة تعدّ دليلاً على فهم الصّفة المحذوفة، وهذا ما يؤكّد وعي (ابن جنّي) إلى أهميّة التّنغيم وإشارات الوجه.

واهتمّ **المحدثون** بالتّنغيم على نحو أوسع ممّا لدى القدماء لاطّلاعهم على منجزات الدّرس اللّغويّ الحديث الذي يعدّ المستوى الصّوتيّ من أبرز أركانه ومستوياته، فعرّفه أحدهم بأنّه: **((ظاهرة صوتيّة مرتبطة بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام لدرجة توتر الوترين الصّوتين))**[3]، فيصحب التّنغيم حالات خروج الكلام عن مجراه بغية تأدية الوظائف في سياق معيّن.

ويعدُّ (إبراهيم أنيس) من أشهر من نبّه على دراسة التّنغيم من المحدثين العرب، في كتابه الأصوات اللّغويّة الذي يرى أنَّ التّنغيم هو موسيقا الكلام **((لأنَّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجةً صوتيّةً واحدةً في النّطق بجميع الأصوات، فالأصوات الّتي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف**

(1) – التّفخيم: منح الصّوت قيمة صوتيّة أكثر مما هو عليه. يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة (فخم).

(2) – ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، 1952، **الخصائص**، بتحقيق: محمّد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، ج2، ص370–371.

(3) – حجازي، محمود فهمي، د.ت، **مدخل إلى علم اللّغة**، دار قباء، القاهرة، د.ط، ص82.

فيها، ومن اللّغات ما يجعل لاختلاف الصَّوت أهميَّة كبرى؛ إذ تختلف معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصّوت حين النّطق بها))[1].

ولعلّه من نقلٌ عن الدّرس الصّوتيّ العربيّ، والبحث فيه ضئيلٌ؛ لأنَّ معظم أمثلة التّنغيم في اللّغة العربية ولهجاتها تُصنّف من النّوع الذي لا يقوم على تمييز الجملة، وهذا الأمر يعكس إمّا خاصيّة لهجيّة، وإمَّا عادة نطقيّة للأفراد؛ ولذلك فإنّ مسألة تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلاً، ويعدّ التنغيم أيضاً من أهمّ الرّكائز في الدّرس الصّوتيّ لما يملكه من صلة باللّغة، وما يقدّمه من الدّلالة والحكم عليها.

المبحث الثّاني: دور قرينة التَّنغيم في المعنى في شعر أبي تمَّام:

تعدُّ النّغمة من قرائن التّعليق اللّفظيّة في سياق التّنغيم، وهي الإطار الصّوتيّ الذي تُقال به الجملة في السّياق، والتّنغيم ظاهرة لا تؤثّر تماماً في البنية التّركيبيّة للجملة، وقرينة الرّتبة والإعراب مثلاً هما مساعدتان لعمليّة التّنغيم، ولقرينة التّنغيم أثر دلاليّ؛ فهي التي تدلّ على المعنى أو توجهه[2]، وهي إحدى الرّكائز الّتي تُفسّر الجملة تفسيراً صحيحاً سليماً، وتنوّع هذه القرينة هو ما يشي بتنوُّع المعاني، فتتغيّر الأساليب من إخبارٍ إلى استفهامٍ إلى تعجُّب...

ولعلَّ الوظيفة الأساس لقرينة التّنغيم نحويّة؛ لأنها تميّز بين أنماط التّركيب، وتؤثّر في تلوّن الأساليب الدّاخلة على النّصّ من التّفريق بين الأساليب النّحويّة.

أنواع النَّغمات في الكلام: تتنوّع النَّغمات من حيث ثباتها أو تغيّرها صعوداً وهبوطاً على النَّحو الآتي:[3]

1- النَّغمة الصَّاعدة: تعني وجودَ درجةٍ مُنخفضةٍ من النَّغمات في مقطع أو أكثر

(1) – أنيس، إبراهيم، 1950م، **الأصوات اللّغويّة**، مكتبة نهضة مصر، ط1، ص176.

(2) – يُنظر: السَّامرائي، فاضل صالح، 2007م، **الجملة العربيّة تأليفها أقسامها**، دار الفكر، الأردن، ط2، 28.

(3)– يُنظر: أيوب، عبد الرحمن: **أصوات اللغة**، ط2، مطبعة الكيانين 1968م، ص153–155.

من الكلام، تليها درجةٌ أكثر علوّاً منها (الانتقال من حالة الهدوء إلى حالة الانفعال). ومن أمثلتها الجملة الاستفهاميَّة التي تقتضي جواباً بـ "نعم" أو "لا"، والجملة المعلّقة؛ ويُقصد بها الكلام غير التَّام لارتباطه بما بعده، ومن أمثلتها الجملة الشَّرطيَّة.

2- النَّغمة الهابطة: تعني وجود درجة عالية من التَّنغيم في مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر انخفاضاً. وسمّيت بذلك لاتّصافها بالهدوء في نهايتها، ومن أمثلتها الجملة الخبريَّة.

3- النَّغمة المستوية: ومعناها أن يكون هنالك عدد من المقاطع ذات درجات محدّدة؛ أي حافظَ الصَّوت على مستوى واحد في حالات الصّعود أو الهبوط تكونُ نغمته مستوية.

4- النّغمة الهابطة الصّاعدة: وتشير إلى درجةٍ عاليةٍ في المقطع أو أكثر تليها درجة أقل منها، ثمَّ درجة عالية.

النّظام النّغميّ للأنماط اللّغويّة:

كان تحليل النّغمة في مختلف أساليب الكلام المستعملة في اللّغة، مثل: الجملة الخبريّة، والجملة الإنشائيّة: أسلوب الأمر، أسلوب النّداء، أسلوب الاستفهام، أسلوب التّعجّب... وقد استعان بعض الباحثين في عملهم بسلّم النّغم المكوَّن من أربع درجات، وذلك على النّحو الآتي:[1]

الرقم 1- يشير إلى درجة منخفضة.

الرقم 2 – يشير إلى درجة متوسطة.

الرقم 3- يشير إلى درجة عالية.

الرقم 4 – يشير إلى درجة عالية جداً.

وبالتَّطبيق على أنواع الكلام السَّابقة يتبيّن ما يأتي:

(1)- يُنظر: المصدر السّابق، ص151-152.

الأسلوب الخبري

1- الجملة الخبريّة (كلّ كلام يخلو من أمر، أو نهي، أو تمنٍّ، أو نداء، أو تعجّب، أو استفهام): النّمط الغالب فيها: 2-2-1

(متوسط + متوسط + منخفض) فإيقاعها متوسّط إلى منخفض، أي إيقاعها يميل إلى الهدوء.

أساليب إنشائية

2- الأمر، النمط الغالب فيه: 2-3-1، متوسط - عالٍ- منخفض← إيقاع مرتفع.

3- الاستفهام، النّمط الغالب فيه: 3-2-1 ← إيقاع مرتفع.

4- النّداء، النّمط الغالب فيه: 2-3-1 ← إيقاع مرتفع.

5- التّعجب، النّمط الغالب فيه: 2-3-1 ← إيقاع مرتفع.

ويتَّضح من هذا التَّحليل تَمَيُّز الجملة الخبريَّة بنمطٍ متوسّطٍ ومنخفضٍ من النَّغمات، فيما يتميّز الأسلوب الإنشائيّ بأنواعه المختلفة "أمر، استفهام، نهي، تمنٍّ، تعجّب، نداء" بأنماط ومستويات عالية من النَّغمات.

بهذا المعنى يمكن وصف التَّنغيم في الشِّعر بأنَّه تلوين الإيقاع بما يناسب الحالة النَّفسيَّة للشاعر، فإذا كان هذا الشَّاعر منفعلاً أو متوتّراً تَكَثَّفَ الإيقاع وارتفع مستواه، أمّا إذا كان هادئاً فالمتوقَّع أن يصاحب لغته مستوى منخفضٌ من النغمات.

وظائف التّنغيم:

ينهض التَّنغيم بدور مهمّ وأساسٍ في قراءة النُّصوص وتحليلها، وفي تلوين الخطاب، وتوليد الدّلالات، مما يجعله من أهمّ العناصر الشّعريّة في النّصّ. ولعلّ من أهمّ وظائف التّنغيم: [1]

1-الوظيفة النّحويّة: يؤدّي التّنغيم دوراً مهماً في تصنيف الجمل إلى أصنافها المختلفة من إخباريّة، استفهاميّة، تعجّبيّة، وغير ذلك؛ فلكلّ من هذه الجمل والأساليب

(1)- يُنظر: إيمان، سلاوي: **التّنغيم وأثره في المعنى اللّغوي "سورة مريم أنموذجاً"**، مشروع تخرّج لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2018م، ص22-26.

نمطُه التّنغيميّ الخاصّ به.

2-الوظيفة التّأثيريّة: يلوّن الإنشاء التّعبيريّ الصّوت بحسب المحتوى الفكريّ والعاطفيّ للقصيدة، ويؤدّي هذا النّموذج إلى اختلاف الإنشاء عن الخبر بالتّنغيم.

ويعني ذلك وجوب متابعة أحكام الوقف المختلفة مع مراعاة النّبر والتّنغيم لبيان المقصد المطلوب من تفخيم وزجر واعتراض... فكلّ توجيه للمعنى يقتضي منّا ضرباً من الوقف يُناسبه[1]، وهنالك دلالات يكشف عنها التّنغيم في شعر أبي تمام، ولعلّ أهمّها تنغيم الجملة الإنشائيّة.

وللإنشاء أساليبه الخاصّة، منها الأمر والاستفهام، والنهي والتعجُّب، والنّداء، ولكلّ أسلوب صيغته الخاصّة وأدواته التي تؤدّي المعنى المقصود، لكنَّ هذه المعاني والمقاصد لا تبقى ثابتةً، إنَّما تتحوَّل إلى أغراض مجازيّة تبعاً لحال المخاطب، وقرينة التّنغيم لها دور رئيس في المشاركة في توجيه المعنى.

وللجملة الإنشائيّة نبرتها الخاصّة التي تميل إلى التّأثير في السّامع لتنفيذ الحدث المطلوب والاستجابة له، ومن عناصر تّنغيم الجملة الإنشائيّة الطلبيّة الواردة في شعر أبي تمّام:

أ- تنغيم الاستفهام:

تعدُّ اللّغة معاني مؤثّرة، وعندما تنتظم الجملة بطريقة تنغيميّة معيّنة، فإنَّها تُحدث تأثيراً مُضاعفاً بسبب وجود عاملين: التّنغيم أوّلاً والمعنى ثانياً.

ومن تنغيم الجملة الإنشائيّة يحضر الاستفهام الذي هو **((طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل... ولكنَّ الاستفهام قد يخرج عن معانيه الأصليّة إلى معانٍ**

(1) - يُنظر: قباوة، فخر الدّين، د.ت، **مشكلة العامل النّحويّ ونظريّة الاقتضاء:** دار الفكر، سوريا، د.ط، ص184.

كثيرة))[1]، هذا الخروج يكون للتنغيم دورٌ رئيس فيه.

ويبدأ التّنغيم في الاستفهام بنغمةٍ مرتفعة في المقطع الصّوتيّ الأوَّل للجملة الاستفهاميّة، ثمّ يبدأ بالانخفاض قليلاً، ليعاود الارتفاع في نهاية الجملة، ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل يتعدّاه إلى كون التّنغيم فيصلاً مهمّاً يقف إلى جانب عناصر السّياق والمقام ليميز الأغراض المختلفة التي تؤدّي إليها الجملة الاستفهاميّة، ومن الجدير بالذكر أنَّ البلاغيين قد تتبّعوا الأغراض المجازيّة التي يخرج إليها الاستفهام فوجدوها تزيد على ثلاثين غرضاً مجازيّاً[2]، ومن ذلك قول أبي تمّام:[3]

لله درُّك في الخَوْدِ الّتي طَمَحَتْ ما كان أَرْقَاكَ يا هَذا لِطَامِحِها؟!

يبيّن الشّاعر مدى تعلُّق (فضل بن صالح) بجاريته الّتي تمتاز بالفطنة والأدب، وبدأ ذلك بالتّعجُّب من حاله السّاعية إلى الحصول على قلبها بعد امتناعها وعزوفها عن الزّواج ، ومن ثم جاء الاستفهام بالأداة "ما" التي حملت نغمة مرتفعة بدأ بها جملته، لتبدأ بالانخفاض "كان أرقاكَ"، ويعاود التّنغيم الصّعود في النّداء "يا هذا".

ولنقرأ قوله أيضاً:[4]

فَحْوَاكَ عيْنٌ على نَجْوَاكَ يا مَذِلُ حتَّامَ لا يَتَقَضَّى قَوْلُكَ الخَطِلُ!؟

يمدح الشّاعر المعتصم بالله، ويستخدم فيه الاستفهام بـ"ما"، فالشّاعر لا يجهل معلومة يعتقد أنَّ المخاطب يملك الجواب عنها، بل إنّ هذا الاستفهام يخدم الوظيفة التّواصليّة التي خرجت إلى معنى التّعجّب، وكان ذلك عبر الصّيغة التّنغيميّة التي خالفت

(1) – مطلوب، أحمد و البصير، حسن، **البلاغة والتطبيق**، وزارة التعليم والبحث العلمي، ط2، 1999م، ص134.

(2) – يُنظر: مطلوب، أحمد، **مُعجم المُصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**، الدَّار العربيّة للموسوعات، لبنان، ط1، 2006م، ج1، ص18.

(3) – التّبريزيّ، الخطيب، 1951م، **ديوان أبي تمّام**، تحقيق: محمّد عبده عزّام، دار المعارف، مصر، ط5، ج1، ص535. (طمحت: ارتفعت ببصرها إلى السّماء تكبُّراً، طمحت في الشّرف: ارتفعت).

(4) – ديوانه، ج3، ص5. (المَذِل: لا يكتم سرَّه، الخطل: المُضطرب).

توقُّعات المتلقّي، فبدأ الاستفهام بنغمة مرتفعة في قوله "حتّام"، ثم ارتفعت أكثر في الأسلوب الإنشائيّ "لا يتقضّى"، وهذا الخروج عن النّمط المُعتاد هو ما كشف عن معنى التّعجّب.

ويقول أبو تمّام يهجو عيّاشاً:[1]

أَمِنْ نسيمِ الهِجَاءِ انْفَلَّ حَدُّكُمُ فكيفَ لو قَدْ عَلَتْ تلكَ الأعاصِيرُ؟

في استعمال أبي تمّام لهمزة الاستفهام تعبير مجازيّ ينبعث من تعجُّب الشّاعر من ضعف "عيّاش"، ويعضد ذلك باستئناف الكلام بسؤالٍ آخر مُستعملاً الأداة "كيف"، ورغم هذين السّؤالين إلّا أنَّ المُتكلّم لا ينتظر جواباً، وفي التّنغيم الإيقاعيّ المُستخدم نلحظ تنغيماً صاعداً تجلّى في "أمن نسيم الهجاء"، وهذه التّرنيمة كشفت عن معنى السّخرية والاستهزاء، وتهبط النّغمة في الجملة الخبريّة "انفلّ حدّكم" الدّالة على الهدوء، لتعود النّغمة في الارتفاع بالأسلوب الاستفهاميّ الثّاني "كيف" الّتي عادةً ما يُسال بها عن الحال، فحال المهجوّ – تبعاً للنّغمة الصّاعدة– أصبحت في حالٍ يُرثى له، لقد أصبحت عديمة القدرة على التّصدي لنسيم هجاء الشّاعر، لتحضر ترنيمة لغويّة رابعة أفادت هبوطاً في الإيقاع، وهذا ما استوجبه مقام الهجاء عند أبي تمّام.

ويمكن القول إنَّ تنغيم الاستفهام يبدأ عادةً بنغمة مرتفعة ثم ينخفض، ليعود مجدّداً إلى الارتفاع للوصول إلى ترنيمته الأولى، وقد يخالف ذلك حسب مقتضيات حال المُخاطب.

ب– تنغيم النّداء:

والنداء هو التصويت بالمنادى ليقبل من قريبٍ أو بعيدٍ، وفيه طلب إقبال المدعو على الدَّاعي[2]، تنغيم النّداء عادة ما يتصدّر الجملة؛ ولذلك يكتسب النّداء قدرة تعبيرية

(1)– ديوانه ، ج4، ص373.

(2) – يُنظر: مطلوب، أحمد و البصير، حسن، **البلاغة والتطبيق**، ص141.

على التّعبير من خلال الشّحنة الشّعوريّة[1]، أمَّا المقاطع التي تليه فتكون مصحوبة بنغمة أضعف من الأولى.

ولعلَّ أكثر ما يكون النّداء بلا أداة في اسم العلم، غير أنَّ ذلك يأتي أيضاً في مواضع يقتضيها السّياق، ومن ذلك قول أبي تمَّام:(2)

أبَــا جَعْفَــر إنَّ الجَهَالــةَ أُمُّهــا وَلُــودٌ وأُمُّ العلــمِ جَــدَّاءُ حائِــلُ

نجد أبا تمَّام بدأ بيته بنداءٍ حَمل معه نغمة مرتفعة، فهو ينبذ أهل الجهل ويغضب عليهم، والبيت كما نرى يحمل دلالة النّداء، لكنّ استخدام هذا النّداء كان للكشف عن اعتراض أبي تمام على الوزير أبي جعفر الزّيات، فهذا الوزير وسلطته كلٌّ منهما مسؤول عمّا جرى من ترسيخٍ لواقع الجهل.

ولعلَّ تقدير الأداة المحذوفة "يا" أو "أ" ... أو غيرها حسب سياق المتكلّم؛ إذ حذفت الأداة لاستقامة الوزن، وبالنغمة يتبيّن أنَّ الوقوف عند أبي جعفر كان بالنطق بنغمة صاعدة للتّدليل على أنَّها في موقع النداء؛ لأنَّ ما بعد النّداء يحتمل الأمر أو ما في معناه. ومن النّداء بحضور الأداة قوله:(3)

أَيوسفُ جِئْتَ بالعَجَبِ العَجِيْبِ تَرَكْــتَ النَّــاسَ فــي شَــكٍّ مُرِيــبِ

يوظّف أبو تمام تنغيم النّداء؛ إذ ضمنه معنى التّعجب، فانزاح عن المعنى الأساس المراد به إلى معنى آخر يتكشَّف بالتّنغيم الحاصل، إنّه ينادي ولكنّه يهجو (يوسف السّرّاج) الذي تركت أفعاله الحيرة والتُّعجُّب من خلال الإتيان بأمور لم تكن معهودةً من قبل، وفي قوله "أيوسف" نلحظ أنَّ المقطع الصّوتيّ في بداية الجملة كان

(1)– يُنظر: ليلى ، سهل: **التَّنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق**، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2010، ص6.

(2) – ديوانه، ج3، ص177. (جدّاء: صغيرة الثّدي، حائل: ذات حمل).

(3) – ديوانه ، ج4، ص315.

بنغمـةٍ متوسّـطةٍ فـي همـزة النّـداء، ثـم تواصـل التّنغيم فـي الارتفـاع تـدريجياً فـي المقطـع الصّـوتيّ الثّـاني من التّركيـب الإنشـائي، لينـخفض علـى نحـو مفـاجئ فـي التّركيـب الثالـث المُتمثّل بالجملة الخبريّة .

يقول في موضع آخر :[1]

يا حَاسِدَ الفضلِ لا أَعْرِفْكَ مُحْتَشِداً لِغَمْـرَةٍ أَنْـتَ عِنْـدِي غَيْـرُ سَـابِحِها

في هذا البيت يمدح الشّاعر الفضلَ بن صالح بن عبد الملك، ويطلب من حاسده أن يكفَّ عن هذا الفعل، فالحاسد لا يملك القدرة على الشّروع في الحسد؛ لأنَّه ليس أهلاً له، بل إنَّ مُجرّد المحاولة تُفضي إلى الغرق في فضائل الممدوح.

نجد في تصريح أبي تمّام بأداة النّداء هنا رصداً لتحولات إيقاعيّة في بنية النّصّ، فـ"يا" هنا تحوَّلت إلى أكثر من أداة نداء، لقد انزاحت عن معنى النّداء إلى معنى النّهي والزّجر والتّوبيخ، فاختلف توزيع النّص في التّنغيم تحليليّاً، وكان قرينةً دالّة على الأداة، فحضر المقطع الصّوتيّ بنغمة متوسّطة من خلال هذه الأداة؛ ليبدأ بالارتفاع في "حاسد الفضل"، لتعود إلى الانخفاض في جواب النّداء "لا أعرفك مُحتشداً لغمرة"، ويبلغ أدنى مستويات الانخفاض في الجملة الخبريّة "أنت عندي غير سابحها" التي خرجت من معنى الإثبات والتّقرير إلى معانٍ مجازيّة كالتّوبيخ والتّقريع، وكان التّنغيم عاملاً مُهمّاً في الكشف عنها.

ج- تنغيم النَّهي:

ويُقصد بالنّهي طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام...[2]، وللنّهي ميزات خاصّة، إذ عادة ما يبدأ بنغمة صاعدة، وهو متذبذبٌ بين ارتفاع وانخفاض؛ إذ يبدأ النّهي بنغمة صاعدة ثم يبدأ بالانخفاض للوصول إلى مستويات متدنّية ثم يرتفع فجأة في

(1) – ديوانه ، ج1، ص351.

(2)- يُنظر: مطلوب، أحمد و البصير، حسن، **البلاغة والتطبيق**، ص130 .

آخر الجملة ليعود للانخفاض الفجائيّ تارة أخرى[1]، ومنه قول أبي تمَّام:[2]

لا تصـرفَنَّ نَـدَاكَ عمَّـنْ لـم يَـدَعْ للقَـوْلِ فيـكَ إلـى سِـوَاكَ تَصَـرُّفا

لا تَـرْضَ ذاكَ فَتُسْـخِطَنَّ أوابـداً هَزَّتْـكَ إلَّا أنْ تُصـيبَكَ مُرْهَفـا

استعمل (أبو تمَّام) النّهي فيما يحمله من أنساق مُضمرة في تصوير قوَّة شعره، فالشّاعر يهدف إلى إظهار حركيّة الصّراع المكتوم الذي يكشف عن علاقة الشّاعر الملتبسة بالسّلطة في عصره، فالشّاعر يهدف إلى إثارة مشاعر الهلع والتّوجُّس التي أوضحتها ترنيمة النّهي من خلال التّذبذُب بين ارتفاع وانخفاض، إذ كان الارتفاع في البداية وما قبل الآخر، والانخفاض في الوسط والنّهاية.

ومثل ذلك قوله:[3]

ولا تَقُـلْ إنَّنـا مِـن نَبْعَـةٍ فلقَـدْ بانَـتْ نَجائِـبُ إبْـلٍ مِـنْ نَواضِـحِها

ينهى (أبو تمام) الحاسدَ ويطلب منه عدم الإتيان بمثل هذا الفعل، فانتساب الحاسد إلى هاشمٍ لا يعني أنَّه أهل لكلّ فعل، وهذا النَّمط من التَّنغيم ارتبط بمتلازماتٍ صوتيّة تختلف عن باقي أغراض الجملة، فبدأ بنغمة متوسّطة دلَّت عليها الأداة "لا"، ليبدأ بالارتفاع قليلاً في المقطع الصَّوتيّ الثّاني "تقل"، ومن ثمّ يعود إلى الانخفاض في الجملة الخبريّة "إنّنا من نبعةٍ"، ويبلغ أدنى مستويات الانخفاض في الجملة الخبريّة الثانية "فلقد بانت نجائبُ".

ومثل ذلك أيضاً قوله:[4]

فَـلا تَبْعُـدَنْ منّـي قَريبـاً فَطالَمـا طُلِبْـتَ فلـمْ تَبْعُـدْ وأنـتَ بَعيـدُ

(1) – ينظر: زلاقي ، رضا، 2008م، **التّنغيم في اللّغة العربيّة**، جامعة بومرداس، الجزائر، ص79.

(2) – ديوانه، ج4، ص476.

(3) – ديوانه ، ج1، ص352.

(4) – ديوانه ، ج1، ص400.

أوردَ النَّهيَ هنا على سبيل الإلزام؛ لأنَّه يورد ما يستدعي ذلك، فأبو تمَّام ينهى عن محاولة إبعاده عن الممدوح (ابن أبي دواد)، فهو قريبٌ إليه رغم بعده، والنَّهي هنا دخل في باب الاعتذار واللّوم، والعتاب، فكان في نغمةٍ متوسّطةٍ تجلّت في الأداة "لا"، ليبدأ ارتفاعاً في فعل النَّهي "تبعد"، وينخفضُ في نون التَّوكيد "نْ"، ويبلغ من الانخفاض مستوياتٍ متدنّيةً في الجملتين الخبريتين التاليتين.

هـ – تنغيم فعل الأمر:

إنَّ صيغة فعل الأمر تستعمل في صور حقيقة؛ أي حصول الفعل على سبيل الاستعلاء، وهذه هي دلالته الأصليّة، وقد تتولّد عنه دلالات تبعاً للقرائن الحالية والسياقيَّة[1]، وقد يكون له دلالات أخرى يكشف عنها التَّنغيم ويؤدّيها، فيتفرَّع كلُّ باب منها فروعاً شتَّى، فقد يؤدّي طلباً محضاً، وقد يكون زجراً أو توبيخاً ... إلخ. ففي قول أبي تمَّام:[(2)]

خُذْها ابنة الفكرِ المهذَّبِ في الدُّجى والليلُ أسودُ رقعة الجلبابِ

نلحظُ في قول (أبي تمَّام) سموَّاً للمعاني ورفعةً، لم يسبقه إلى مثلها شاعرٌ، إذ كان نظم البيت أو القصيدة في الليل؛ أي إنَّه يسهر الليالي في سبيل محبوبته، بدأ بنغمةٍ صاعدةٍ تجلَّت في قوله "خذها"، ثمَّ انخفضت في الجملة الخبريّة "والليلُ أسود رقعة الجلباب"، وهذا ما كشف عن معنى النُّصح والإرشاد.

ومنه قوله أيضاً:[(3)]

فاطلُبْ هدوءاً بالتَّقَلْقُلِ واستَتِر بالعيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهادِ هُجُودا

هذا البيت من قصيدةٍ في مدح (خالد بن يزيد الشّيبانيّ)، ويطلبُ منه السّكونَ

(1)– يُنظر: مطلوب، أحمد و البصير، حسن، **البلاغة والتطبيق**، ص125.

(2) – ديوانه: ج1، ص91.

(3) – المصدر السّابق: ج1، ص410.

في الحركةِ في الأسفار، والنَّومَ عندما يكون أرِقاً، وجاء التّنغيم صاعداً في بداية الجملة في فعل الأمر "اطلبْ"، وهذا الفعل يحمل في معناه دلالة الأمر، ألا وهي الطّلب، ولعلَّ هذا ما نمَّ عن نغمةٍ صاعدةٍ، ثمَّ انخفضت في لفظة "هدوءاً"، الدّالة في أحرفها على الهدوء، وهذه اللفظة تحمل مستوًى مُنخفضاً من التَّنغيم، ليعود إلى التوسُّط في لفظة "التَّقَلْقُل".

ويقول أبو تمّام:[1]

قُلْ للأميرِ الَّذي قَدْ نَالَ ما طَلَبا ... وردَّ من سَالِفِ المَعْرُوفِ ما ذَهَبا

يمدح أبو تمّام (إسحاقَ بن إبراهيم بن مصعب) فهو الأمير الذي ينال طالبه مبتغاه، إنَّه صاحب المعروف الفضل.

بدأ التَّنغيم صاعداً في قوله "قل"، وهذا الفعل يحمل في تنغيماته دلالةً طلبيّةً تجلَّت في فعل القول، ليهبط قليلاً في "للأمير"، ويبلغ أدنى مستويات الانخفاض في الجملة الخبريَّة "قد نال ما طلبا"، وهو في ذلك عدل عن الأصل العام لتنغيمة الأمر، لقد انزاح عن مجراها النَّغمي العامّ ليُولّد دلالة أخرى فضلاً عن دلالة الأمر، اقترب في مستواه الإيقاعيّ من دلالة النَّهي.

و- تنغيم التّعجُّب:

ما يذكره بعضهم من خروج بعض التّراكيب إلى أساليبَ مختلفةٍ أو دلالة الأداة على أكثر من معنى، وذلك عائد إلى التَّنغيم، فقد روى البعض أنَّ من أسباب وضع أوليّات النَّحو سماعه ابنته تقول: ما أحسنُ السَّماءِ..؟ للدّلالة على التّعجُّب من حُسن السَّماء، ولكنها أخطأت في التَّشكيل الإعرابيِّ برفع "أحسنُ"، فتحوَّلت الجملة استفهاميّةً[2].

(1) – ديوانه، ج1، ص234.

(2) – يُنظر: الزّبيدي، ابو بكر محمّد بن الحسن، 1973م، **طبقات النّحويين واللغويين**، حقّقه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، د.ط، ص14. والسّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، 1955، **أخبار**

واختلاف التّنغيم يؤدي إلى تحوُّلات في الدّلالة داخل النّصّ، فيخرج الأسلوب عن معناه الحقيقيّ الذي وُضع له إلى معنى آخر، وبذلك يتضافر التّنغيم مع سياق الحال وظروف النّصّ، فيخرج غرض الأسلوب عن المعنى المُراد، يقول أبو تمّام:

ومنه قول الشاعر:[1]

أَحسِنْ بأيَّامِ العَقيقِ وَأَطيبِ وَالعيشِ في أَظلالِهِنَّ المُعْجِبِ

هذا البيت جاء عبى صيغة قياسيّة، فللتعجُّب عبارات كثيرة منها سماعيّة وأخرى قياسيّة؛ إلا أنَّها كانت في معنى واحد هو خفاء السّبب والخروج عن المألوف، وغالباً ما يكون عند مشاهدة ما يُجهل سببه، وهذا البيت من قصيدة في مدح (عمر بن طوق)، بدأها في تذكّر الأيّام التي كانت معه، وقال "أطيب" فصحّح الياء؛ لأنَّ التّعجُّب شأنه ذلك يظهر فيه التّضعيف، ويصحّ المعتلّ إذا بنيته بناء الأمر.

جاء التّنغيم صاعداً في المقطع الصّوتيّ الأوَّل "أحسن"، ثم بدأ بالانخفاض في قوله "أيّام العقيق"، ليعاود الارتفاع في الجملة التنغيمية الثّانية "وأطيب"، وهنا نلحظ أنَّ التنغيم أخرج التّعجُّب إلى معنى المدح.

ويقول أبو تمّام:[2]

ما للفراق تفرَّقت أعضاؤه ما زالَ يعصفُ باللقاء قديما

يصف الشّاعر حدّة شوقه الى أحد أصدقائه بعد فراقه له؛ جاعلاً يوم الفراق يوماً عظيماً في همومه ووحشته، داعياً عليه بعدم السّقي، كونه ترك جسمه سقيماً، كان الأمر متعلّقاً بفراق الأصدقاء، فعندما يفارق الشّاعر شخصاً أو صديقاً قريباً من نفسه، فأنَّه يحسّ بمرارة ذلك الفراق، فضلاً عن الوحشة التي سيحياها بابتعاد صديقه عنه، والفراغ

النَّحويين البصريين، تحقيق: طه محمّد الزّيني، ومحمّد عبد المنعم الخفاجي، مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط1، ص21.

(1) – ديوانه ،92/1. (العقيق: موضع).

(2) – ديوانه ، 593/4

الذي سيتركه خلفه.

جاء التَّنغيم مُكتسياً مميزات صوتيَّة خاصّة بدأ بنغمة صاعدة في المقطع الصّوتيّ الأوّل من الجملة " ما"، ثم بدأ في الانخفاض حتى بلغ مستويات متدنّية "خطبه" ثم ارتفع فجأة "ما" ليعاود للانخفاض الفجائيّ تارة أخرى "دهاه"، وعليه يمكن الحكم على تنغيم التَّعجُّب على أنَّه متذبذب بين ارتفاع وانخفاض، حيث كان الارتفاع في البداية وما قبل الآخر، وكان الانخفاض في الوسط والنّهاية.

النّتائج والتّوصيات:

1. لكلّ جملة في العربيّة هيكلٌ تنغيميّ خاصّ بها ويميزها من غيرها، فالتّنغيم الحاصل في الجملة الخبريّة يختلف عن التّنغيم الكائن في الجملة الإنشائيّة.
2. تُعدّ النّغمة إحدى قرائن التَّعليق اللّفظيّة التي ترتبط بالسّياق ارتباطاً واضحاً، فاختلاف النّغمة يؤدّي إلى اختلافٍ في المعنى المقصود.
3. قد تسقط القرينة الدّالة على المعنى في موطنٍ ما، وتنوب عنها القرينة الإعرابيّة اللّفظيّة الّتي تكشف عن المحذوف، فالتّضحية بالقرينة الإعرابيّة أهون عند الشّاعر من الإخلال بالوزن.
4. يُمكن أن نُطلق على التّنغيم إعراباً لفظيّاً، فهو يهتمّ بالجانب الصّوتيّ،

كما للقرينة الإعرابيّة دور في التّدليل على الأبواب النّحويّة عند الكثيرين.

5. كان أبو تمّام على عناية كبيرة بالتّنغيم الدّال على المعنى؛ إذ سمحَ لقريحته الشّعريّة أن تظهر مع محاولة الارتباط بقواعد نحويّة ثابتة، و من أهمّ سمات التي امتاز بها الطّبع .

6. يمكن دراسة التّنغيم في مجالات عدّة؛ نحويّة وبلاغيّة، وصوتيّة... وللتنغيم النّحويّ دورٌ كبيرٌ في فهم التّركيب؛ فمن دونها يحدُث فهم التّركيب فهماً مُخالفاً المقصود.

المصادر والمراجع:

*- القرآن الكريم.

1- الأشمونيّ، علي بن محمّد بن عيسى، 1375هـ، **شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك** المسمّى "منهج السّالك، إلى ألفيّة ابن مالك، حقّقه: محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1.

2- أنيس، إبراهيم، 1950م، **الأصوات اللّغويّة**، مكتبة نهضة مصر، ط1.

3- البغداديّ، عبد القادر بن عمر، 1375هـ، **خزانة الأدب ولب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ط.

4- التّبريزيّ، الخطيب، 1951م، **ديوان أبي تمّام**، تحقيق: محمّد عبده عزّام، دار المعارف، مصر، ط5.

5- الجرجانيّ، علي بن محمّد السّيد، د.ت **معجم التّعريفات**، تحقيق ودراسة: محمّد صديق المنشاويّ، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط.

6- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، 1952، **الخصائص**، بتحقيق: محمّد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ط1.

7- حجازي، محمود فهمي، د.ت، **مدخل إلى علم اللّغة**، دار قباء، القاهرة، د.ط.

8- حسّان، تمّام، 1419هـ/1993م، **البيان في روائع القرآن دراسة لغويَّة وأسلوبيَّة للنصّ القرآنيّ** ، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

9- حسّان، تمّام، 1994م، **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، دار الثّقافة، المغرب، د.ط

10- حسّان، تمّام، 2006م، **مقالات في اللّغة والأدب**، عالم الكتب، القاهرة، د.ط.

11- الرّازيّ، محمّد بن أبي بكر، 1994م، **مختار الصّحاح**، دار الكتاب الحديث، ط1.

12- الزّبيدي، ابو بكر محمّد بن الحسن، 1973م، **طبقات النّحويين واللغويين**،

حقّقه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، د.ط.

13- زلاقي ، رضا، 2008م، **التّنغيم في اللّغة العربيّة**، جامعة بومرداس، الجزائر.

14- السَّامرائي، فاضل صالح، 2007م، **الجملة العربيّة تأليفها أقسامها**، دار الفكر، الأردن، ط2.

15- السّامرائيّ، فاضل صالح، 2000م، **الجملة والعربية والمعنى**، دار ابن حزم، ط1.

16- سيبويه، أبو عثمان عمرو بن عثمان بن قنبر، 1988، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.

17- السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، 1955، **أخبار النَّحويين البصريين**، تحقيق: طه محمّد الزّيني، ومحمّد عبد المنعم الخفاجي، مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط1.

18- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 1979، **معجم مقاييس اللّغة** ، تحقيق وضبط: عبد السّلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط

19- الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، د.ت، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، ود. إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط.

20- قباوة، فخر الدّين، د.ت، **مشكلة العامل النّحويّ ونظريّة الاقتضاء**: دار الفكر، سوريا، د.ط.

21- قدور، أحمد محمّد، 2008م، **مبادئ اللّسانيات**، دار الفكر، دمشق، ط3.

22- اللّبدي، محمّد سمير نجيب، 1985، **معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة**، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1.

23- مطلوب، أحمد، 2006، **مُعجم المُصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**، الدَّار العربيّة للموسوعات، لبنان، ط1.

24- ابن منظور، جمال بن مكرم: **لسان العرب**، تحقيق: محمّد أحمد حسب الله، وهاشم الشّاذلي، وعبد الله علي الكبير، دار المعارف، مصر، د.ت.

25- ابن هشام، عبد الله جمال الدّين بن يوسف، د.ت، **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك** ، ومعه عدّة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك : محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر ، بيروت ، د.ط.

Sources and references:

-*The Kareem Quran.

1 -Al-Ashmouni, Ali bin Muhammad bin Isa, 1375 AH, Sharh al-Ashmuni on the millennium of Ibn Malik called "Minhaj al-Salik, to the millennium of Ibn Malik, achieved by: Muhammad Muhyiddin Abd al-Hamid, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, ed1.

2 -Anis, Ibrahim, 1950 AD, Linguistic Voices, Nahdet Misr Library, 1st Edition.

3 -Al-Baghdadi, Abd al-Qadir bin Omar, 1375 AH, Treasury of Literature and the Heart of the Tongue of the Arabs, investigation and explanation: Abd al-Salam Muhammad Harun, al-Khanji Library, Cairo, d.

4 -Al-Tabrizi, Al-Khatib, 1951AD, Abi Tammam Diwan, edited by: Muhammad Abdo Azzam, Dar Al Ma'arif, Egypt, 5th Edition.

5 -Al-Jarjani, Ali bin Muhammad Al-Sayed, d. Dictionary of definitions, investigation and study: Muhammad Siddiq Al-Minshawi, Dar Al-Fadila, Cairo, d.

6 -Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman, 1952, Al-Characteristics, with an investigation by: Muhammad Ali Al-Najjar, The Scientific Library, Beirut, 1st Edition.

7 -Hegazy, Mahmoud Fahmy, dt, Introduction to Linguistics, Dar Quba, Cairo, Dr. T.

8 -Hassan, Tammam, 1419 AH / 1993 CE, Al-Bayan fi Masterpieces of the Qur'an, a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text, The World of Books, Cairo, i 1.

9 -Hassan, Tammam, 1994 AD, The Arabic Language, Its Meaning and Its Structure, House of Culture, Morocco, Dr.

10 -Hassan, Tammam, 2006 AD, Articles on Language and Literature, The World of Books, Cairo, Dr. T.

11 -Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr, 1994 AD, Mukhtar As-

Sahih, Dar Al-Kitab Al-Hadith, ed1.
12 -Al-Zubaidi, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hassan, 1973 AD, Tabaqat for grammarians and linguists, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'arif, Egypt, Cairo, d.
13 -Zallaki, Reda, 2008, Toning in the Arabic Language, Boumerdes University, Algeria.
14 -Al-Samarrai, Fadel Saleh, 2007 AD, Arabic sentence composed by its sections, Dar Al-Fikr, Jordan, vol 2.
15 -Al-Samarra'i, Fadel Salih, 2000 AD, Al-Juma, Arabic and Meaning, Dar Ibn Hazm, ed. 1.
16 -Sibawayh, Abu Uthman Amr bin Othman bin Qanbar, 1988, the book, edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd Edition.
17 -Al-Serafi, Abu Saeed Al-Hassan Bin Abdullah, 1955, News of the Basrian Grammarians, edited by: Taha Muhammad Al-Zaini, and Muhammad Abd Al-Moneim Al-Khafaji, Mustafa Babi Al-Halabi and Sons, Egypt, Cairo, ed. 1.
18 -Ibn Faris, Abu Al Hussein Ahmad Ibn Faris Bin Zakaria, 1979, The Dictionary of Language Standards, edited and controlled by: Abdul Salam Haroun, Dar Al Fikr, Beirut, Dr. Taz
19 -Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, dt, Al-Ain, investigation by: Dr. Mehdi Makhzoumi and d. Ibrahim Al-Samarrai, the Crescent House and Library, Dr. I.
20 -Qabawa, Fakhr al-Din, dt, the problem of the grammatical factor and the theory of imperative: Dar al-Fikr, Syria, dt.
21 -Kaddour, Ahmad Muhammad, 2008 AD, Principles of Linguistics, Dar Al-Fikr, Damascus, 3rd Edition.
22 -Al-Labadi, Muhammad Samir Naguib, 1985, Dictionary of Grammatical and Morphological Terms, The Resala Foundation, Beirut, Lebanon, vol.1.
23 -Matlib, Ahmad, 2006, Glossary of Rhetorical Terms and Their Development, Arab House of Encyclopedias, Lebanon,

Edition 1.

24 -Ibn Manzur, Jamal Ibn Makram: Lisan al-Arab, edited by: Muhammad Ahmad Hassaballah, Hashem al-Shazly, and Abdullah Ali al-Kabir, Dar al-Ma'arif, Egypt, d.

25 -Ibn Hisham, Abdullah Jamal al-Din bin Yusuf, d. D. He explained the paths to the millennium of Ibn Malik, and with him the instrument of the walker to the clearest investigation of the tracts: Muhammad Muhiyy al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Fikr, Beirut, d.